النظام التربوي في الجزائر

النصوص المرجعية

- الأمر رقم 76/35 المتضمن تنظيم التربية والتكوين (نشرة المديرية الفرعية للتوثيق سنة 98) .
- المبادئ العامة للسياسة التربوية الجديدة وإصلاح التعليم الأساسي (المجلس الأعلى للتربية) .
- نشرة وضعية قطاع التربية الوطنية (مسح شامل من 1962 إلى 1998) .

1. تطوره وهيكلته

إن التطرق لدراسة النظام التربوي الجزائري وتطوره يقتضي استعراض مختلف الفترات التاريخية التي مر بها هذا النظام قبل الاستقلال وبعده . وفي السياق يمكن تقسيم هذا التطور إلى مراحل متميزة حسب الأحداث الكبرى والتحولات الجوهرية نوردها فيما يلي :

1.1 مرحلة ما قبل الاستقلال

كانت التربية قبل الاحتلال الفرنسي شديدة الانتشار في الجزائر إذ كانت تمتد على طول البلاد وعرضها شبكة واسعة من الكتاتيب والمدارس . لكن السلطات الاستعمارية الوحشية استغلت ببشاعة الدور الخطير الذي تنهض به المدرسة في استخلاف الأجيال ، فأقامت في البلاد منظومة تربوية بديلة مارست من خلالها ضغطا شديدا على عقيدة الشعب وحضارته وأصالته وذلك بفتح مدارس للأهالي تتلخص مهمتها في تكوين المساعدين الذين يحتاج إليهم الاستعمار لخدمة أغراضه ، بينما كانت مدارس الأوروبيين نسخة مطابقة للنموذج الأصلي بجميع مكوناتها العصرية .

إلا أن هذه السياسة اصطدمت بمقاومة شعبية باسلة وشاملة استطاعت أن تحافظ على شكل من أشكال التربية والثقافة الوطنية بواسطة الكتاتيب القرآنية والمدارس الحرة التي كان ينفق عليها الشعب ، والتي كان لها الفضل في تكوين أجيال واعية بانتمائها الثقافي والروحي والحضاري .

2.1 ما بعد الاستقلال

وجدت الجزائر نفسها بعد الاستقلال أمام وضع اقتصادي واجتماعي وثقافي منهار تجلت معالمه في تفشيي الأمية والجهل وانتشار الأمراض وقلة البنى التحتية ، ونقص في الموارد المالية والبشرية التي تكون في مستوى تحدي الأوضاع . لكن الدولة الجزائرية الفتية إيمانا منها بدور التربية التي تعد أساس كل تنمية بادرت إلى تجنيد وتعبئة كل الإمكانات المتاحة آنذاك ، واستعانت بالدول الشقيقة والصديقة من أجل بناء منظومة تربوية جزائرية ، وقامت في هذا السياق بمساع حثيثة لإدخال إصلاحات عبر المراحل التالية .

1.2.1 المرحلة الأولى (1962-1970)

بقي النظام في هذه المرحلة شديد الصلة من حيث التنظيم والتسيير بذلك الذي كان سائدا قبل الاستقلال ، إلا أنه شهد تحويرات نوعية تطبيقا لاختيارات التعريب والديموقراطية والتوجه العلمي والتقني وذلك طبقا للمواثيق الأساسية للأمة .

وفي هذا الإطار نصبت سنة 1962 لجنة لإصلاح التعليم عهد إليها وضع خطة تعليمية واضحة ، ونشرت اللجنة تقريرها في نهاية سنة 1964 . لكن النظام التربوي لم يعرف تغيرا كبيرا ، ولم تشهد السنوات الأولى من الاستقلال سوى جملة من العمليات الإجرائية نذكر منها :

- التوظيف المباشر للممرنين والمساعدين .
- تأليف الكتب المدرسية وتوفير الوثائق التربوية .
- بناء المرافق التعليمية في كل نواحي الوطن .
- اللجوء إلى عقود التعاون مع البلدان الشقيقة والصديقة .

أما تنظيم التعليم فقد انقسمت هيكلته في هذه المرحلة إلى ثلاثة مستويات يستقل كل منها عن الآخر وهي :

أ- التعليم الابتدائي : ويشمل ست سنوات ويتوج بامتحان السنة السادسة .

ب- التعليم المتوسط : ويشمل ثلاثة أنماط هي :

- التعليم العام ويدوم 4 سنوات ويتوج بشهادة الأهلية التي عوضت فيما بعد بشهادة التعليم العام (BEG) .
- التعليم التقني ، يدوم 3 سنوات ، ويؤدى في إكماليات التعليم التقني ، ويتوج بشهادة الكفاءة المهنية .
- التعليم الفلاحي يدوم 3 سنوات ، ويؤدى في إكماليات التعليم الفلاحي ، يتوج بشهادة الكفاءة الفلاحية .

ج- التعليم الثانوي : ويشمل ثلاثة أنماط هي :

- التعليم الثانوي العام يدوم 3 سنوات ويحضر لمختلف شعب البكالوريا (الرياضيات – علوم تجريبية – فلسفة) أما ثانويات التعليم التقني فتحضرهم لاختبار بكالوريا شعب (تقني رياضيات – تقني اقتصادي) .
- التعليم الصناعي والتجاري ، وهو يحضر التلاميذ لاجتياز شهادة الأهلية في الدراسات الصناعية والتجارية تدوم 5 سنوات ، وقد تم تعويض هذا النظام قبل نهاية المرحلة بتنصيب الشعب التقنية الصناعية ، والتقنية المحاسبية التي تتوجها بكالوريا تقني .
- التعليم التقني ، يحضر لاجتياز شهادة التحكم خلال 3 سنوات من التخصص بعد التحصل على شهادة الكفاءة المهنية .

2.2.1 المرحلة الثانية (1970- 1980)

عرفت الفترة الممتدة من 1970 إلى 1980 إعداد مشاريع إصلاحية كممشروع 1973 المتزامن ونهاية المخطط الرباعي الأول وبداية المخطط الرباعي الثاني ومشروع وثيقة إصلاح التعليم سنة 1974 التي صد ت بعد تعديلها في شكل أمر 16 أفريل 1976 ، وهو الأمر المتعلق بتنظيم التربية والتكوين الذي نص على إنشاء المدرسة الأساسية وتوحيد التعليم الأساسي وإجباريته ، وتنظيم التعليم الثانوي وظهور فكرة التعليم الثانوي المتخصص ، وتنظيم التربية التحضيرية .

وقد تميزت هذه المرحلة في المجال التربوي بالخصائص التالية :

- تجديد المضامين والطرق التعليمية بالتعميم التدريجي للتعليم المتعدد الشعب بهدف تحضير شروط التنمية العلمية للبلاد .
- استخدام ميكانيزمات فعالة لتوجيه التلاميذ خلال مسارهم الدراسي .
- جعل وسائل التعليم والمضامين التعليمية منسجمة مع انشغالات المحيط .

وبالتوازي مع العمليات التحضيرية للإصلاح فقد شهد القطاع طيلة هذه المرحلة عددا من القرارت التي مست هيكلة المنظومة في كل أطوار التعليم ، كما مست القطاعات المرتبطة بالشهادات وبالتكوين ، وتمثل ذلك فيما يلي :

أ- في مرحلة التعليم الابتدائي

لم تدخل عليه تغييرات بالمقارنة لما عرف عنه في المرحلة السابقة باستثناء تغيير تسمية "امتحان السنة السادسة" الذي أصبح يطلق عليه "امتحان الدخول إلى السنة الأولى" .

ب-في مرحلة التعليم المتوسط

وقد جمع في إكماليات التعليم المتوسط (التي تم إنشاؤها) كل أنواع التعليم التي كانت تؤدى في الطور الأول من التعليم الثانوي وفي إكماليات التعليم العام والتعليم التقني والتعليم الفلاحي ، تلك المؤسسات التي شرع في إزالتها ابتداء من سنة 1970 ، وتنتهي الدراسة باجتياز شهادة الأهلية للتعليم المتوسط وحذف التعليم التقني القصير المدى ، كما خصصت بعض مؤسسات التعليم المتوسط لاجتياز البرامج الجديدة خلال فترة محددة تدوم 3 سنوات والتي تمثل الطور الثالث من التعليم الأساسي ، كما أنشئ فرع جديد في شهادة التعليم المتوسط سمي "شهادة التعليم الأساسي" التي تتوج الدراسة في المؤسسات التجريبية .

ج- التعليم الثانوي

يدوم 3 سنوات وينتهي باجتياز مختلف شعب البكالوريا التي تؤدي إلى الجامعة ، وتحضر ثانويات التعليم العام لاجتياز الامتحان المذكور في الرياضيات والعلوم والآداب .

إن أهم التغييرات التي وقعت في هذه المرحلة تتعلق بالتعليم التقني حيث أنشئت متاقن الطور الأول 71/70 وهي تستقبل تلاميذ لسنة الخامسة (السنة الثانية متوسط) . بهدف منحهم تكوينا يدوم سنتين ليصبحوا عمالا مؤهلين مع إمكانية الانتقال إلى الطور الثاني لتلقى تكوين يؤهلهم مدة سنتين إضافيتين لأن يصبحوا تقنيين . وقد أهملت هذه التجربة ابتداء من الدخول المدرسي 74/73 وحولت المتاقن إلى ثانويات تقنية .

3.2.1 المرحلة الثالثة (1980-1990)

أ- ما يطبع هذه الفترة أساسا هو إقامة المدرسة الأساسية ابتداء من الدخول المدرسي 81/80 . وقد تم تعميمها بشكل تدريجي سنة بعد سنة حتى يتسنى لمختلف اللجان تحضير البرامج والوسائل التعليمية لكل طور ، وتدوم فترة التمدرس الإلزامي فيها 9 سنوات وتشمل هيكلتها ثلاثة أطوار مدة الطورين الأولين 6 سنوات (الابتدائي سابقا) ومدة الطور الثالث 3 سنوات (المتوسط سابقا) .

إن المدرسة الأساسية تم تصميمها لتكون وحدة تنظيمية شاملة ، وتمت محاولات على الصعيد التنظيمي ترمي إلى تحقيق هذه الوحدة في إطار (المأمن) .

ب- التعليم الثانوي

شهد التعليم الثانوي خلال هذه الفترة تحولات عميقة رغم أن التكفل به أسند إلى جهاز مستقل وقد شملت هذه التحولات ما يلي :

- التعليم الثانوي العام

تميز بإدراج التربية التكنولوجية والتعليم الاختياري في اللغات والإعلام الآلي ، والتربية البدنية والفنية ، ثم التخلي عنها إثر إعادة هيكلة التعليم الثانوي في الفترة الموالية ، وكذا فتح شعبة "علوم إسلامية" .

- التعليم الثانوي التقني : تميز بما يلي :
  - تطابق التكوين في المتاقن مع التكوين الممنوح في الثانويات التقنية .
  - فتح بعض شعب التعليم العالي أمام الحائزين على بكالوريا تقني .
  - إقامة التعليم الثانوي التقني القصير المدى الذي يتوج بشهادة الكفاءة التقنية والذي ظل ساري المفعول من سنة 1980 إلى 1984 .
  - فتح شعب جديدة .
  - تعميم تدريس مادة التاريخ لتشمل كل الشعب .

4.2.1 المرحلة الرابعة (1990-إلى اليوم)

أ- التعليم الأساسي

بالنسبة للمرحلة القاعدية للنظام التعليمي هي المدرسة الأساسية ذات التسع سنوات (من السنة الأولى إلى التاسعة أساسي) . وتنقسم إلى طورين متكاملين :

- الطورين الأولين (ابتدائي) من السنة الأولى إلى السنة السادسة أساسي .
- الطور الثالث ، من السنة السابعة إلى التاسعة أساسي .

ويبقى الطموح في تحقيق المدرسة الأساسية المندمجة قائما ، وهو أحد الانشغالات التي تعنى بها المصالح المعنية إلى يومنا هذا .

وتتوج الدراسة بشهادة التعليم الأساسي (BEF) .

ب-التعليم الثانوي

بعد اتخاذ بعض الإجراءات لإعادة التنظيم التي أدرجت في الثمانينات ، والتي تم التخلي عنها بسرعة (تنويع شعب التعليم التقني ، الاختبارات الإجبارية) تم تنصيب الجذوع المشتركة في السنة الأولى ثانوي ، وهي :

1. الجذع المشترك (آداب) .
2. الجذع المشترك (علوم) .
3. الجذع المشترك (تكنولوجيا) .

ولكل جذع من هذه الجذوع المشتركة مجموعة من الشعب التي يمكن مراجعتها من خلال النصوص السارية المفعول .

3.1 تطور التعليم العالي

إن المتتبع للمراحل التي مرت بها الجامعة الجزائرية في 40 سنة الماضية يلاحظ أنه يمكن تلخيصها على النحو الآتي :

1.3.1 مرحلة 62-1970

انطلق فيها القطاع بجامعة واحدة ومدرستين للتعليم العالي ، ونظام جامعي موروث عن العهد الاستعماري ، وشهدت هذه المرحلة انطلاقة التفكير في الإصلاح الجامعي والتوسع في بناء المؤسسات الجامعية حيث شرع في بناء جامعة قسنطينة ، باب الزوار وهران .

2.3.1 مرحلة 71- 84

ميزها إصلاح التعليم العالي سنة 1971 والذي من مراميه الكبرى :

- إدماج الجامعة الجزائرية في سياق حركة التنمية الشاملة .
- جزأرة المؤطرين والمكونين .
- ديموقراطية التعليم وتعريبه .
- تأكيد التوجه العلمي والتكنولوجي .
- تكوين الإطارات من حيث الكم والنوعية الضرورية لسد حاجات البلاد .

3.3.1 مرحلة 85-89

وميزها وضع الخريطة الجامعية التي تنظم القطاع بغية التحكم في التوافد الطلابي وترشيد توزعه في إطار توحيد المنظومة الجامعية ، وإنشاء شبكة للمراكز الجامعية في مختلف أرجاء الوطن وكذا إنشاء جامعة التكوين المتواصل .

4.3.1 مرحلة 1990 – إلى يومنا

لم تستطع الجامعة في هذه المرحلة الاستجابة للمطالب الاجتماعية والاقتصادية المطروحة نتيجة تأثير التخطيط الاستعجالي للتكفل بالدفعات الطلابية بحيث عانت فيها الجامعة ضغوطا أدت إلى عدم استقرارها في مجالات التنظيم والتسيير .

4.1 التكوين المهني

لم يكن هناك غداة الاستقلال سوى سبعة عشر مركزا للتكوين المهني اقتصر التكوين فيها على التخصصات المتعلقة بالأشغال العمومية والبناءات الحديدية .

وفي بداية السبعينات تبلورت سياسة وطنية للتكوين المهني تطبعها اهتمامات اجتماعية واقتصادية تتمثل في تكوين يد عاملة مؤهلة سريعة الإدماج في الجهاز الاقتصادي معتمدة في ذلك على عدد كبير من المؤطرين الأجانب .

في بداية الثمانينات شهد القطاع ديناميكية نشطة تميزت بـ :

- إنشاء إدارة مركزية مستقلة خاصة بقطاع التكوين المهني .
- مضاعفة عدد مؤسسات التكوين المهني بمختلف أنواعها وتنوع تخصصاتها .
- جزأرة المكونين عن طريق تكوين المكونين وإدماجهم .
- إدخال أنماط ومستويات جديدة للتكوين .
- صدور قانون التمهين .

وقد شهد قطاع التكوين المهني في مطلع التسعينات تمديد التكوين إلى المستويين الرابع والخامس للتكفل بالتلاميذ المتسربين من قطاع التربية الوطنية بعد امتحان البكالوريا وإدخال أنماط جديدة للتكوين أكثر تكيفا ، وإنشاء مدارس خاصة للتكوين طبقا للقانون وتحت مراقبة الدولة .

2. أهدافـــــه

أما أهداف النظام التربوي الجزائري فتتمثل بحسب الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالتربية فيما يلي :

- تكوين أطفال متميزين بسعة الأفق والخيال وسلامة البدن يصبون إلى قيم الحق والخير والجمال وذلك من خلال إيجاد توازن متناسق بين جوانب التربية الفكرية والأخلاقية والبدنية .
- إكساب الأطفال حرية التفكير التي تسمح لهم بإصدار الأحكام وتبنى آراء مستقلة وتعويدهم على تحمل مسؤولية تصرفاتهم .
- تمكين الشباب من تكوين نظرة عن العالم دون فقدان هويته الثقافية وتعويده احترام خصوصيات الثقافات الأخرى .
- ضمان حد أدنى من المعارف والمهارات والكفاءات للجميع بتعميم التعليم الأساسي .
- تمكين المتعلمين من التكيف مع مهام متعددة ومن القدرة على التحسين المتواصل لمستوياتهم في ضوء تطور أشكال الإنتاج وظروف العمل .
- إيلاء أهمية كبيرة للتكوين العام باعتباره الأرضية الضرورية لكل تكيف مستقبلي مع التغير .